



الهنود الحمر: الهنود الحمر:



خبرة حريئة في الأفنية والادوية

"فيما بعد، عندما كان أيلول يبدل اللون الأخضر للأوراق بأخر أصفر..
ويتحول القلب الطري للحبوب إلى لب ذهبي صلب..
كان ذلك بمثابة البشير أن موسم جمع أكواز الذرة قد أصبح على الأبواب."

بهذه الكلمات من قصيدته المشهورة هياواثا احتفل الشاعر الخالد لونغفلو بالذرة الهندية التي كانت المصدر الرئيسي للغذاء بالنسبة لقبائل الهنود الحمر في القارة الأمريكية. فالذرة الطيبة المذاق والمحتوية على عناصر التغذية المتوازنة كانت الغذاء الأساسي الذي يعيل حياة ذوي البشرة الحمراء صانعي نصال السهام والتوماهوك (البلطة الخفيفة للقتال أو للأشغال). ويقال أن الذرة هي من فصيلة (أبو عصبين) كونها تسكن الجوع وتلتصق بالضلع ولذلك فهي أنسب غذاء للمستكشفين والرواد.

لقد رأى كولمبوس الذرة لأول مرة عندما زار كوبا في العام ١٤٩٢. وخلال غزوة ديسوتو الشهيرة في عام ١٥٤٠ تم العثور على الذرة في كل مكان من فلوريدا مروراً بالأبالاما وحتى القسم الأعلى من حوض الميسيسيبي.

الهنود اعتبروا الذرة من أعظم هبات الطبيعة لهم ولذلك كانوا يرفعون الدعاء إلى آلهة الذرة، وكانوا يرقصون رقصات طقسية خاصة احتفالاً بالموسم المبارك. كما كانوا يشنون عرائيس أو أكواز الذرة ويجففونها ثم يطحنوها ويصنعونها منها عصيدة نية دون الحاجة إلى طهوها. تلك العصيدة كانت تقدم للمحاربين والصيادين لاحتوائها على غذاء مركز فيه حيل وقوة بالرغم من كميته الضئيلة. والمعروف عن هذا الغذاء أنه كان يطلق طاقاته المغذية على فترات أثناء السفر حيث كانت الرحلات تتطلب همماً قوية وأحياناً خفيفة.

أما تحويل الذرة إلى طعام فكان يمر بعمليات عديدة معقدة أحياناً، تختلف من قبيلة إلى أخرى، مما يوفر تشكيلة واسعة من الأكلات الشهية المغذية لأصدقائنا الهنود الحمر. فخبز الذرة وكعك جوني والبسكويت الرقيق الهش والبوشار والبونز الشبيه بالزقاقيات الجبلية والعصائد على اختلافها وسليقة الذرة وزيت الذرة ودبس الذرة هو غيض من فيض من الطرق العديدة لتحضير الذرة الهندية التي يتباهى حتى المتحضرين في إعدادها ويفتخرون بتقديمها لضيوفهم كأكلات فاخرة.

وكان أصدقائنا الهنود أصحاب كيف وعلى دراية بتخمير الذرة لصنع مشروبهم المفضل الشبيه بالجة أو البيرة التي لم يعرفونها قبل وصول كولمبوس إلى القارة الأمريكية.

كانت لهم طريقة مبتكرة في صنع الخميرة، إذ كان أفراد قبيلتي زوني وهوبي يعضون الذرة ويتكونها حتى تتخمر، بعد ذلك كانوا يحفظونها بالملح. أما بالنسبة للفواكه البرية وتوت الأرض فحدث ولا حرج. إذا كانت هذه الثمار متوفرة للهنود بوفرة، كالبطيخ الأحمر والشمام الأصفر والكرز البري والبابايا والخوخ والمشمش والدراق والخيار والفريز، إضافة إلى النباتات الصحراوية كالمسكيت والصابر واليوكا ذي الأزهار الجرسية البيضاء والأوراق القاسية الشائكة المتجهة بحدّة نحو السماء. كما كان الهنود يحفظون ثمر أو تين الصبار أو يصنعون منه شراباً حلواً. أما البزور فكانوا يطحنوها طحناً جيداً (أسوة بمعاد العنبرية) ويخلطوها بالماء ليصنعوا منها ثريد البينول المعروف جيداً لأصحابنا الهنود الحمر. وقد تعلم المستوطنون الأوروبيون الجدد الكثير من سكان أمريكا الأصليين الذين كانوا على توافق تام مع أهم الطبيعة ومعرفة دقيقة بالأرض وما عليها.

كما كانوا أيضاً يزرعون أنواعاً مختلفة من الكوسا والقرع واليقطين ويستهلكون أيضاً البنق والجوز وغيرهما من المكسرات التي كانت برية ووفيرة المحصول. وكانت تعتبر أيضاً من الغذاء الرئيسي للهنود. وكانوا أيضاً يستخرجون الزيت من تلك المكسرات ومادة أخرى حلوة شبيهة بالقشدة كانوا يستعملونها في الطهي. وكانت أيضاً البطاطا الحلوة معروفة لهم. وبالإضافة إلى معرفتهم الدقيقة بثمار الأرض وأنواع الطعام كانوا أيضاً يمتلكون معرفة بالنباتات السامة والترياق المضاد لتلك النباتات. وكانوا يستحضرون الأدوية من جذور النبات وأغصان وأوراق وقشر الشجر.

لقد كان الهنود يعرفون أساليب علاجية كثيرة من بينها السحر والدعاء وقوة الإيحاء والأتاشيد والنصح والوعظ والشعائر والطقوس والتمائم ذات القوى السحرية إضافة إلى طرق أخرى من صميم ثقافتهم.

وكانوا أيضاً يستعملون العقاقير الطبيعية ويمتنعون كلياً عن تناول الطعام كأسلوب علاجي. كما كانوا يستعملون طقوساً خاصة لطرد الأرواح الشريرة من الشخص المريض أو المعاق. ومن أساليب الشفاء التي كانوا يستخدمونها للجوع إلى قوى عليا لمقاومة التأثير الشرير سواء الصادر عن متعاطي السحر أو عن أرواح الأموات أو عن حيوانات خرافية. أما الأدعية فكانت ترفع إلى آلهة رحيمة وأرواح طيبة يسترضونها ويستردون عطفها. وكانوا يستخدمون أناشيد شافية تشمل على أدعية ومواعظ. وما كانوا يبخلون على أعدائهم باللغات يستمطرونها شأبيب مدرارة ويطلقون زعقات مخيفة ليلقوا الرعب في قلوب الأرواح غير النظيفة. (وقد تكون زعقات خوف من تلك الأرواح).

وكانوا يستعملون من أجل الشفاء قطع أخشاب أو حجارة منحوتة بشكل محدد وريش ومخالب وشعر وأشكال غريبة عجيبة لحيوانات أسطورية تمثل الشمس والبرق وظواهر طبيعية أخرى، وكلها مصممة خصيصاً لتقمص قوة خفية قادرة على منع حدوث المرض أو التغلب على تأثيره.

عبر التاريخ نجد أن ممارسة طقوس الشفاء كانت وثيقة الصلة بالفكر الديني السائد في تلك الأزمان. ونظراً لرسوخ تلك المفاهيم في وعي الإنسان البدائي ما زالت شرائح كبيرة من الناس تذهب إلى المشعوذين طلباً للراحة والعون والطمأنينة.

وسيبقى الإنسان ملتصقاً بالعون خارج نفسه حتى يدرك أن ينابيع الشفاء تكمن في روحه وما عليه إلا أن ينقب عن تلك المياه المباركة التي هي مصدر كل صحة وقوة لأنها منبتقة عن ينبوع الإلهي الذي فيه الشفاء من كل علة وداء.

المصدر: معرفة الذات

الترجمة بتصرف: محمود مسعود